

احتجاج إلى البطريك أثيناغوراس على رفع حرمات ١٠٥٤

فيلاريت، رئيس مجمع الأساقفة الروس خارج روسيا

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

في ١٥/٢ كانون الأول ١٩٦٥

صاحب القداسة

لقد ورثنا تراثاً من الآباء القديسين بأن يُعْمَل كل شيء في العالم بطريقة قانونية، بإجماع، وبحسب التقاليد القديمة. إذا قام أحد الأساقفة أو حتى رؤساء إحدى الكنائس المستقلة بعقلٍ ما لا يتوافق مع تعاليم الكنيسة جمعاء، فلكل واحد من أعضاء الكنيسة الحق بالاعتراض. القانون الخامس عشر من المجمع الأول الثاني في القسطنطينية سنة ٨٦١ يصف الأساقفة والكهنة الذين يمتنعون عن الشركة حتى مع بطريركهم، إذا كان يكرز علناً بالهرطقة ويعلم بها علانية في الكنيسة، بأنهم "يستحقون الشرف الذي يليق بهم بين المسيحيين الأرثوذكس". بهذه الطريقة، نحن جميعاً حماةً لحقيقة الكنيسة، التي كانت دائماً محمية بالحرص على عدم عمل أي شيء مؤثر على عامة الكنيسة من دون توافق الجميع.

لذلك، فإن موقفنا من مختلف الانشقاقات خارج الحدود المحلية للكنائس المستقلة لم يتحدد أبداً إلا بالإجماع المشترك بين هذه الكنائس.

في البداية، تم إعلان انفصالنا عن روما في القسطنطينية، لكن من بعدها صار هذا الانفصال هماً للعالم الأرثوذكسي بأسره. لا يجوز لأي من الكنائس المستقلة، ولا سيما كنيسة القسطنطينية الفائقة الاحترام التي منها تُلقت كنيستنا الروسية كنز الأرثوذكسية، تغيير أي شيء في هذا الشأن دون الموافقة المسبقة من الجميع. إلى ذلك، نحن الأساقفة القائمون في الوقت الحاضر، لا يجوز لنا أن نتخذ قرارات تتعلق بالغرب مختلفة مع تعاليم الآباء القديسين الذين عاشوا قبلنا، وتحديداً القديسين فوتيوس بطريرك القسطنطينية ومرقس أسقف أفسس.

في ضوء هذه المبادئ، على الرغم من كوننا أصغر الرؤساء، كرئيس للجزء المستقل الحر من كنيسة روسيا، فإننا نعتبر أن من واجبنا أن نعبر عن احتجاجنا الصريح ضد عقل قداستكم بالإشارة إلى تصريحكم الرسمي المشترك مع بابا روما في ما يتعلق بإلغاء حكم الحرم الذي أصدره البطريك ميخائيل كيرولايوس عام ١٠٥٤.

لقد سمعنا كثيرين يعبرون عن الذهول لقيام قداستكم، أمام العالم كله، بما هو جديد تمامًا وغير متآلف مع أعمال أسلافكم، بالإضافة إلى أنه يتعارض مع العاشر من قوانين الرسل القديسين، وذلك في اجتماعكم مع بابا روما، بولس السادس، في القدس. لقد سمعنا أنّ من بعدها، رفض العديد من أديار جبل آثوس المقدس ذكر اسمكم في الخدم. فلنكن صريحين بأن التشويش كان عظيمًا. لكن قداستكم الآن تذهبون أبعد من ذلك إذ، فقط بقرار منكم مع أساقفة مجمعكم، تلغون قرار البطريرك ميخائيل كيرولايوس الذي قبله الشرق الأرثوذكسي بأسره. قداستكم، بهذه الطريقة تتصرفون بعكس ما تقبله كنيستنا كلها في العلاقة مع الكثلكة. ليست المسألة مجرد تقييم لسلوك ما من الكاردينال همبرتو. ولا هي مسألة خلاف شخصي بين البابا والبطريرك يمكن معالجتها بسهولة بالتسامح المسيحي المتبادل؛ لا، إن جوهر المشكلة يكمن في الانحراف عن الأرثوذكسية الذي تجذّر في كنيسة روما على مرّ القرون، بدءًا من عقيدة عصمة البابا التي صيغت بشكل نهائي في المجمع الفاتيكاني الأول.

من الحق الإشارة إلى أن إعلان قداستكم المشترك مع البابا يشير إلى لفظة "العفو المتبادل" لكنها غير كافية لإنهاء الخلافات القديمة والحديثة. وأكثر من ذلك، إن مبادرتكم تضع علامة مساواة بين الخطأ والحق. لقرون، اعتقدت كل الكنيسة الأرثوذكسية، وعن اقتناع، بأنها لم تنتهك عقيدة المجمع المسكونية المقدسة. بينما أدخلت كنيسة روما عددًا من الابتداعات في تعاليمها العقائدية. ومع كل ابتداء جديد، كان الانفصال بين الشرق والغرب يزداد عمقًا. إن انحرافات روما العقائدية في القرن الحادي عشر لم تكن تشتمل الأخطاء التي أضيفت في ما بعد. لذلك، كان ممكنًا أن يكون إلغاء الحرم المتبادل ذا معنى في ١٠٥٤؛ لكن الآن هو مجرد دليل على اللامبالاة بأهم الأخطاء، أي المعتقدات الجديدة الغربية عن الكنيسة القديمة، والتي كشف البعض منها القديس مرقس أسقف أفسس، والتي كانت سبب رفض الكنيسة للاتحاد الفلورنسي.

إننا نعلن بحزم وبشكل قاطع:

لا إمكانية لاتحاد الكثلكة بنا إلى أن تتخلى عن عقائدها الجديدة، ولا إمكانية لاستعادة شركة الصلاة معها دون قرار جميع الكنائس، وهو ما يصعب تحقيقه قبل تحرير كنيسة روسيا المضطرة في الوقت الحاضر لأن تعيش في سراديب الموتى. لا يمكن للأساقفة الذين يرأسهم الآن البطريرك ألكسي التعبير عن الصوت الحقيقي للكنيسة الروسية لأنها تحت السيطرة الكاملة للحكومة الملحدة. كما أن رئاسات بعض الكنائس الأخرى في البلدان التي يسيطر عليها الشيوعيون ليسوا أحرارًا أيضًا.

الفاتيكان ليس مركزًا دينيًا فحسب، بل هو أيضًا دولة، وفي حين أن العلاقات معه لها أيضًا طبيعة سياسية، كما يتضح من زيارة البابا إلى الأمم المتحدة، يجب على المرء أن يأخذ بالحسبان إمكانية

تأثير السلطات الكافرة في شؤون كنيسة روما، بشكل أو بآخر. يشهد التاريخ على حقيقة أن المفاوضات مع غير الأرثوذكس تحت ضغط العوامل السياسية لم تجلب للكنيسة أي شيء سوى التشوش والانقسامات.

لذلك، ضروري التعبير عن أن كنيسةنا الأرثوذكسية الروسية خارج روسيا، كما بالتأكيد الكنيسة الروسية الموجودة حاليًا في سراديب الموتى، لن توافقا على أي "حوارات" مع الطوائف الأخرى وترفض مسبقًا أي حلّ قائم على المساومة معهم، مع التأكيد أن لا وحدة ممكنة معهم إلا إذا قبلوا الإيمان الأرثوذكسي كما هو محفوظ إلى الآن في الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية. وما لم يحدث هذا، فإن الحرم الذي أعلنه البطريرك ميخائيل كيرولوريوس يبقى ساري المفعول، وإلغاؤه من قبل قداستكم هو عمل غير قانوني وباطل.

بالتأكيد نحن لا نعارض العلاقات الودية مع ممثلي الطوائف الأخرى طالما أن لا تخلي عن حقيقة الأرثوذكسية. لذلك قبلت كنيسةنا في الوقت المناسب الدعوة لإرسال مراقبيها إلى مجمع الفاتيكان الثاني، كما اعتادت إرسال مراقبين إلى اجتماعات مجلس الكنائس العالمي للحصول على معلومات مباشرة حول عمل هذه الجمعيات من دون أي مشاركة في مداولاتها.

نحن نقدر الاستقبال اللطيف لمراقبيننا، ونحن ندرس باهتمام تقاريرهم التي تظهر إدخال العديد من التغييرات في الكنيسة الرومانية. سوف نكون شاكرين لله إذا كانت هذه التغييرات تخدم قضية التقارب مع الأرثوذكسية. لدى روما الكثير مما ينبغي تغييره للعودة إلى "التعبير عن إيمان الرسل"، أما الكنيسة الأرثوذكسية، التي حافظت على الإيمان بلا شائبة حتى الآن، فليس لديها ما تغييره.

يعلّمنا تقليد الكنيسة ومثال الآباء القديسين أن الكنيسة لا تقيم حوارًا مع الذين انفصلوا عن الأرثوذكسية. بدلاً من ذلك، توجه الكنيسة إليهم مناجاةً (monologue) تدعوهم إلى العودة إلى كنفها برفض كل العقائد المخالفة.

إن الحوار الحقيقي يعني تبادل وجهات النظر مع إمكانية إقناع المشاركين بالتوصل إلى اتفاق. ما يمكن تصوّره من رسالة البابا بولس السادس العامة "Ecclesiam Suam" (مسارات الكنيسة)، هو أنه يفهم الحوار كخطة لاتحادنا مع روما عبر بعض الصيغ التي من شأنها، في كل الأحوال، ترك عقائدها دون تغيير، ولا سيما عقيدتها الجازمة حول موقع البابا في الكنيسة. إلى هذا، فإن أي مساومة مع الخطأ غريبة عن تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية وجوهرها. المساومة لا يمكن أن تحقق الانسجام في اعترافات الإيمان، وجلّ ما تحققه هو وحدة خارجية وهمية مماثلة لمصالحة المجتمعات البروتستانتية المنفصلة في الحركة المسكونية. على رجاء ألا تدخل هذه الخيانة للأرثوذكسية بيننا.

نطلب بصدق من قداستكم أن تضعوا حدًا للتشويش، لأن الطريقة التي اخترتم أتباعها، حتى لو كانت ستجعلكم تنضمون إلى الاتحاد مع الكاثوليك، من شأنها أن تثير الانقسام في العالم الأرثوذكسي. بالتأكيد، حتى العديد من أبنائكم الروحيين سيفضلون الأمانة للأرثوذكسية على فكرة اتحاد مُعَرَّض للشبهة مع غير الأرثوذكس دون انسجامهم الكامل معنا في الحقيقة.

طالباً صلواتكم، أبقى الخادم المتواضع لقداستكم

الميتروبوليت فيلاريت

رئيس مجمع أساقفة الكنيسة الروسية خارج روسيا

تعقيب للمترجم:

الممارسة القائمة لا يمكن تفسيرها بعين التقليد الأرثوذكسي. لم يعد اشتراك الكهنة الأرثوذكس محصوراً في الأكاليل والجنازات، ما كان يبرر بالحاجات الاجتماعية، بل صار أيضاً في القدايس. هذا كيف يُبرر؟ تراخي الإكليروس الأرثوذكسي، وطبيعي أن يتبعه الشعب، وأكثر من تضرر من هذا التراخي هم المسيحيون غير الأرثوذكسيين، لأن الأرثوذكس لم يعودوا ينقلون لهم أي شهادة. كل شيء صار مساوياً لكل شيء. صرنا وإياهم عمياناً يقودون عمياناً. في مطلع القرن الحالي جاء أرشمندريت يوناني سائحاً إلى لبنان وسوريا، وزار عدداً من المطارنة. لاحظ أن أغلب مكاتبتهم ليس فيها أي صورة للمجمع الأنطاكي، بل كلهم يعرضون صورهم مع بابا روما. قوة هذه الملاحظة ليست في الصورة بل بدلالاتها.

العديد سوف يرون في ترجمة هذه الرسالة نبشاً للماضي وعودة إلى حالة لم تعد موجودة. إن تغييب الوعي لا يفني عنه بل يؤجج الحاجة إلى تسليط الضوء عليه.

Source: http://orthodoxinfo.com/ecumenism/philaret_lifting.aspx